سورة يس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾

(يس) يصح أنْ تكون حروفاً مُقطَّعة مثل (الم) و (طه) ، ويصح أنْ تكون حروفاً مُقطّعة صادفتْ اسماً ؛ لذلك من أسمائه ﷺ : يس وطه ، ولا مانع أن يكون الاسم على حرفين ، بل على حرف واحد مثل (ن) فى قوله تعالى :﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم] وقد جُعل علَماً على سيدنا ذى النون[2] عليه السلام ، كذلك ؛ (ق) أصبح

---

(١) سورة يس هى السورة رقم (٣٦) فى ترتيب المصحف الشريف ، عدد آياتها ٨٣ آية ، نزلت بعد سورة الجن ، وقبل سورة الفرقان ، فهى السورة رقم ٤٠ فى ترتيب النزول . وقد حكى القرطبى فى تفسيره (٨/٥٦٢٥) الإجماع على أنها سورة مكية ، ولكنه قال : « إلا أن فرقة قالت : إن قوله تعالى ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۝١٢﴾ [يس] نزلت فى بنى سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد الرسول ﷺ » وقد أورد ابن كثير فى تفسيره (٣/٥٦٦) هذه الرواية عن أبى سعيد الخدرى ولكنه قال . « فيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية ، والسورة بكمالها مكية ، فالله أعلم » .

(٢) النون : الحوت وذو النون لقب يونس بن متّى عليه السلام ، سماه الله ذا النون لأنه حبسه فى جوف الحوت الذى التقمه . [لسان العرب - مادة : نون]. أما (ن) التى فى سورة القلم فقد ورد فيها أقوال منها : أنه الحوت . ومنها أنه الدواة . انظر حكاية هذه الأقوال فى تفسير ابن كثير (٤/٤٠٠ ، ٤٠١) ، ولكن قال الأزهرى : (ن والقلم) لا يجوز فيه غير الهجاء ، ألا ترى أن كُتَّاب المصحف كتبوه ن ؟ ولو أُريد به الدواة أو الحوت لكتب نون . [لسان العرب - مادة : نون]

عَلَماً على الجبل المعروف . إذن : هذه حروف مُقطَّعة ، يمكن أنْ تُنقل إلى العَلَمية ، ويُسمَّى بها[1] .

وكثيراً ما تحدَّثنا عن الحروف المقطَّعة فى أوائل السور ، وكلما مَرَّ بنا حروف مُقطَّعة لا بُدَّ أنْ نتحدث عَمَّا تحتمله من المعانى ، والذى يثبت فى الذِّهْن أن الحرف له اسم ومُسمَّى ، اسم الحرف لا يعرفه إلا المتعلم ، أما مُسمَّى الحرف فيعرفه المتعلم ويعرفه الأمى ، الأمى مثلاً يعرف الفعل (أكل) ويقول : أكلتُ ، لكن لا يستطيع أنْ يتهجَّى حروفه ؛ لأنه لا يعرف إلا مُسمَّى الحروف ، أما المتعلم فيعرف اسم الحرف فيقول : ألف فتحة ، وكاف فتحة ، ولام فتحة . فكيف إذن عرف محمد ﷺ أسماء هذه الحروف ونطق بها ، وهو الأمى الذى لا يعرف القراءة ولا الكتابة ؟ الجواب : أنه عُلِّم وعُرِف من ربه عز وجل .

والقرآن جاء معجزة يتحدَّى القوم فيما نبغوا فيه ، والعرب كانوا أهلَ فصاحة وبيان ، ويكفى أنهم كانوا يقيمون المعارض والأسواق للكلمة ، كما نقيم نحن الآن المعارض للصناعات المتميزة ، ومعروف عند العرب سوق عكاظ وسوق المربد والمجنة .. الخ .

وقد بلغ من اهتمامهم بالكلمة والأسلوب أنْ يُعلقوا القصائد

---

(١) ورد فى تأويل قوله تعالى : ﴿ يسٓ ۝١ ﴾ [يس] عدة أقوال :
- هو اسم من أسماء محمد ﷺ . قاله سعيد بن جبير . ودليله ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ ﴾ [يس] بعدها .
- معناه : يا سيد البشر . قاله أبو بكر الوراق .
- معناه : يا إنسان . أراد محمداً ﷺ . قاله ابن عباس .

وهناك قول آخر ذكره القرطبى فى تفسيره (٥٦٣٨/٨) بالإضافة إلى ما سبق ونقله عن الإمام مالك أن يس اسم من أسماء الله ، حتى أنه كان يكره التسمى باسم يس . قال ابن العربى : الذى يجوز التسمى به هو (ياسين) بهذا التهجى . والله أعلم .

الشهيرة عندهم على الكعبة ، وسُمِّيت هذه القصائد « المعلَّقات » ، وهى أشهر ما عُرف من الشعر الجاهلى .

وكَوْن القرآن يتحداهم هذه شهادة لهم بالتفوق ، فالضعيف لا يُتحدى بل القوى ، كما نرى الآن مثلاً فى تحطيم الرقم القياسى فى مجال من المجالات .

وتحدِّى القرآن للعرب فى الفصاحة والبلاغة مثل تحدِّى سيدنا موسى للسحرة ، وتحدِّى سيدنا عيسى للأطباء ، إذن : هذه سنة متبعة فى جميع الأمم يتحداها الحق سبحانه بما نبغوا فيه . كذلك القرآن الكريم جاء بلغة العرب وحروفهم وكلماتهم التى ينطقون بها ، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله ، لماذا مع أن مادة الكلام واحدة ؟

قالوا : لأن المتكلم بالقرآن هو الحق سبحانه .

وقد أوضحنا هذه المسألة بمَثَل - ولله المثل الأعلى - قُلْنا : لو أردتَ اختبار مجموعة من عمال النسيج أيُّهم أمهر لا يصح أنْ تعطى أحدهم مثلاً حريراً ، وآخر قطناً ، وآخر صوفاً ؛ لأن المادة الخام مختلفة ، إنما تعطى الجميع مادة واحدة ، ثم تنظر فى نسيج كل منهم ، كذلك القرآن ولغة العرب ، المادة واحدة لكن المتكلم هنا العرب ، والمتكلم هنا الحق سبحانه .

وحين تتأمل حروف العربية تجدها ثمانية وعشرين حرفاً ، والحروف المقطَّعة فى القرآن أربعة عشر ، فهى إذن نصف الحروف العربية . وللفخر الرازى[1] - رحمه الله - جدول مدهش ينظم هذه

---

(١) هو : محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين الرازى ، قرشى النسب ، أصله من طبرستان ومولده فى الرىّ (٥٤٤ هـ) (طهران الآن) وإليها نسبته ، إمام مفسر ، أوحد زمانه فى المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، يقال له « ابن خطيب الرىّ » أقبل الناس على كتبه فى حياته يتدارسونها ، كان يحسن الفارسية . من تصانيفه « مفاتيح الغيب » « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين » توفى عام ٦٠٦ هـ عن ٦٢ عاماً . [الأعلام للزركلى ٦/٣١٣]

الحروف ، ويوضح أنها وُضعت هكذا لحكمة ، ووُضعَتْ بقدر وحساب ، هذه الحروف الأربعة عشر تقسم كما يلى :

مجموع حروف اللغة ثمانية وعشرون حرفاً ، التسعة الأوائل بداية من الألف إلى الذال لم تأخذ الحروف المقطعة منها إلا حرفين : الألف والحاء ، وتركت منها سبعة أحرف أما التسعة أحرف الأخيرة ، وتبدأ من الفاء فقد أخذتْ منها الحروف المقطعة سبعة أحرف هى : القاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والياء وتركتْ منها الفاء والواو ، فهى إذن على عكس التسعة الأُول .

أما الحروف العشرة فى الوسط ، والتى تبدأ من الراء وتنتهى بالغين ، فلها نَسَق آخر ، حيث أخذت الحروفُ المقطعة منها الأحرف غير المنقوطة ، وهى الراء والسين والصاد والطاء والعين ، وتركت منها الزاى والشين والضاد والظاء والغين .

كذلك حين نتأمل مثلاً حروف الحلْق تجد الخاء فى المجموعة الأولى لم تُذكر فى الحروف المقطعة ، وذُكرت الميم فى المجموعة الأخيرة .

وهكذا نرى أن هذه الحروف لم تُوضع هكذا اعتباطاً أو كما اتفق، إنما وُضعت بقدر ونظام له حكمة ووراءه أسرار ، وُضعت بهندسة مقصودة الذات فهى مثل سنان المفتاح ، والله سبحانه وتعالى يفتح بها لمَنْ يشاء ، ومن حكمته تعالى أنه لم يُعْط كل أسرار هذه الحروف لجيل من الأجيال ، إنما وزَّع عطاءها على مَرِّ الأزمان بحيث لا يستقبل جيل من الأجيال كلامَ الله بلا عطاء ، وليظل القرآن نوراً يضىء جنبات الدنيا إلى قيام الساعة ؛ لذلك يقول سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (٥٣) ﴾ [فصلت]

هذه السين الدالة على الاستقبال نطق بها سيدنا رسول الله ﷺ وقال ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٣] وظهرت فى عهده أسرار ، ونطق بها مَنْ بعده من الأجيال المتعاقبة ، وظهرت لها أسرار ، وسنظل ننطق بها وتتجلَّى لنا أسرارها إلى قيام الساعة ، وإلى أنْ تظهر الآية الكبرى وهى القيامة . إذن : فعطاء القرآن عطاء مستمر لا ينقطع أبداً .

لذلك لما تناقشنا مع بعض المستشرقين فى سان فرانسيسكو حول موضوع المخترعين والمكتشفين الذين خدموا البشرية وأسعدوها باختراعاتهم واكتشافاتهم . قال أحدهم : عجباً للمسلمين ! لماذا لا يدخل هؤلاء المكتشفون الذين أسعدوا البشرية الجنة ؟ فأوضحنا له أنهم نعم خدموا البشرية ، لكن لم يكُن الله فى بالهم حين اكتشفوا ما اكتشفوا ، بل كان فى بالهم الشهرة والمجد والذِّكْر بين الناس ، وقد نالوا ما يريدون فخلّدنا ذكْراهم وأقمنا لهم التماثيل .. الخ فينطبق عليهم الحديث : « عملتَ ليُقال وقد قيل »[(١)]

إذن : هؤلاء العلماء الذين خدموا البشرية وأسعدوها وهم غير مؤمنين بالله ما هم إلا خَدَم سخرَّهم الله لخدمة البشر ، فهم كالشمس والقمر وغيرهما ، سخرهما الله للإنسان لفائدته ولمنفعته ، ما هم إلا جنود من جنود الله يخدمون هذا الحرف فى ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٣] ليظل يعطى على مَرِّ الأزمان ، وفى كل المستقبل .

هؤلاء العلماء غير المؤمنين بالله مَثَلهم كمثَل خادم عندك قُلْتَ له : احمل هذا الحجر مثلاً ، فقال لك إنه ثقيل علىَّ لا أقوى على حَمْله ، فإنْ قلت له : استعنْ بمَنْ يحمله معك ربما قال لك لا أجد ، لكن إنْ

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٩٠٥) ، وأحمد فى مسنده (٢/٣٢٢) ، والنسائى فى سننه (٦/٢٣ ، ٢٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

قُلْتَ له احمله .سوف تجد تحته كنزاً هو لك فإنه سيحمله وحده ، فى هذه الحالة : أَحَمله احتراماً لأمرك ؟ أم حمله طمعاً فى الكنز ؟

كذلك لما تقدمتْ العلوم اكتشفوا أن الخمر تضر بالكبد ، فأقلع كثيرون عن شربها مخافة ضررها ، وبعد أنْ عرف العلة ، أمَّا المؤمن فيقلع عنها قبل أنْ يعرف هذه الحقيقة ، يقلع عنها لأن ربه عز وجل نهاه عن شربها فينتهى ثقةً منه فى حكمة ربه ، واحتراماً لأمره ، ولو لم يعرف العلة .

ولأن سورة يس ، ثبت فى الحديث أنها قلب القرآن[1] فيجب أن نستهل الاستعاذة والتسمية قبلها ، كما استهللناها فى السُّوَر قبلها ، فالحق سبحانه الذى أنزل القرآن معجزة وكتاب هداية على سيدنا رسول الله ليصحح للمؤمنين به حركة حياتهم قال : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) ﴾ [النحل]

وقلنا سابقاً : إن علة هذا الأمر من الأعلى أن الشيطان حينما عصى ربه فى السجود لآدم ، وحدث الحوار بينه وبين ربه قال : ﴿ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) ﴾[ص] يعنى : حتى لا يتميز آدم وبنوه عنِّى فى المعصية ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴾ [ص] فقوله : ﴿ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) ﴾[ص] أى : فى أنْ يسلكوا طريقاً غير الطريق الذى رسمه الله لهم ، والطريق الذى رسمه الله لهم هو الصراط المستقيم الذى قال فيه : ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ﴾ [الأعراف]

نعم ، لأن الشيطان لا يأتى الخمارة ولا أماكن القمار والمعصية ، إنما يتعرض لأهل الطاعات ليفسد عليهم طاعتهم ، والصراط المستقيم

---

(١) عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « يس قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يريد الله تبارك وتعالى والدار الآخرة إلا غفر له ، واقرؤوها على موتاكم » أخرجه أحمد فى مسنده [٥/٢٦]

هنا هو منهج الله الذى وضعه لإسعاد البشرية . فإبليس بدل أنْ ينتظر إلى أنْ تنفذ منهج الله فى حركة الجوارح طاعة ومعصية يأتى للأساس الذى تأخذ عنه تلك الجوارح منهج الحركة ، فإذا قرأتَ القرآن جاء ليفسد عليك القراءة .

لذلك يُعلِّمك ربك - عز وجل - الاستعاذة ، أولاً لتقطع على الشيطان هذا السبيل ؛ لأنه لن ينتظرك حتى تقرأ ، وحتى تأتى بثمرة هذه القراءة فى حركة الحياة ، بل يأتى إلى القرآن نفسه فيفسده عليك من البداية ، فإنْ أردتَ أن تنتصر عليه فاستعذ بالله منه .

وحين تستعيذ منه بالله فإنك تلجأ إلى ركن قوى ودرع وَاقٍ لا ينفذ إليك منه شىء من وسوسة الشيطان وهَمْزه وغَمْزه ؛ لذلك كان الشيطان واعياً حين قال : ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴾ [ص] فهم الذين يحتمون منه فى حمَى ربهم وخالقهم .

أما قوله تعالى (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فالحق سبحانه خلق الإنسان ، وجعله سيد هذا الكون ، وسخَّر له كل شىء ، ومما سخَّر له سخر أبعاضه لإرادته ، فسخَّر مثلاً لسانه لإرادته ، فإنْ كان مؤمناً قال : الله واحد . وإنْ كان غير ذلك قال : الله ثالث ثلاثة ، كذلك سخَّر له العين تنظر إلى ما أحلَّ وإلى ما حرَّم كذلك الرِّجْل ، فكل جوارحك سخَّرها الله لك إنْ أردتَ منها طاعة أطاعتْ ، وإنْ أردتَ منها معصية عصتْ ، فالإرادة هى التى تملى ما تريده ، والجوارح لا تملك إلا أنْ تنفذ طاعة أو معصية لأنها مُسخَّرة .

وسبق أنْ مثَّلنا لذلك بالقائد الأعلى للجيش حين يرسل مثلاً القائد الأدنى على رأس كتيبة فى مهمة ما ، فعلى الكتيبة أنْ تطيع أمر هذا القائد المباشر طاعةً عمياء ، حتى لو كانت هذه الأوامر فى غير

صالحهم ، وليس لهم أن يعترضـوا عليه حتى إذا ما عادوا إلى القائد الأعلى اشتكَوْا له ما كـان من قائدهم المباشر ، كـذلك طاعة الجوارح لإرادة الإنسان فى الدنيا .

أما فى الآخرة فسوف تُسْلَب منه هذه القيادة لجوارحه ، وسوف تشهد هـذه الجوارح على صاحبهـا أمام الحق الأعلى سبحـانه ، ففى الآخرة لا سلطانَ لأحد إلا الله :

﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) ﴾ [غافر]

وقال سبـحانه : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾ [النور]

وقال : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ (٢١) ﴾ [فصلت]

فـإذا كنتَ تريد عمـلاً من الأعمـال ، هذا العـمل يتطلب منك أولاً طاقة عقلية فكرية تخطط له ، ثم يتطلب قوة فى الجوارح لتفعل ، مَن الذى خلق لك العقل المفكر ؟ ومَن الذى أمـدَّ جوارحك بالقوة والطاقة الفاعلة ؟ أهى تأتمـر لك وتفعل مطلوبك بقـوة ذاتية فيك ؟ أم بتـقدير الله لها ؟

إذن : عليك أنْ تُقبل على كل فعل ، فكراً وتخطيطاً وتنفيذاً وعملاً بقـولك بسم الله ، وحين تقـولها فـكأنك تقول للجـوارح : أنا لا أطلب منك بقوتى ، ولكن من باطن قوة بسم الله ، فبسم الله أفعل لا بى .

بدليل أن الله تعـالى إنْ أراد سلب الإنسان ذاتيـة الحركـة وذاتية الطاقـة والفكر فتُـشَلّ الجوارح ويُشَلّ التـفكير ، إذن : أَقْـبل على كل أعمالك ببسم الله الذى يُعينك عليها .

ثم أنت فى الأعمال تحتاج إلى حكمة ، وإلى قدرة ، وإلى علم .. الخ ، فمَن الجامع لكل هذه الصفات ؟ إنه الله . إذن : فقُلْ بسم الله الجامع لصفات الكمال كله الممدّ خَلْقه بها ، فهو سبحان العالم الذى يمدّك بالعلم ، القادر الذى يمدك بالقدرة ، الحكيم الذى يمدّك بالحكمة ، العزيز الذى يمدّك بالعزة ، القهار الذى يمدّك بالقهر .. الخ .

ألسنا نسمع القاضى يقول عندما يجلس للحكم : بآسْم الشعب يعنى : هو لا يحكم بذاته ، إنما يحكم بقوة الشعب ، كذلك المؤمن يقول : بسم الله عند كل عمل يعنى أيتها الجوارح ، أطيعينى من باطن طاعتك لله .

ثم يصف الحق سبحانه نفسه بقوله ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① ﴾ [الفاتحة] لأن الحق سبحانه خلق الخَلْق مختارين ، فكان منهم المؤمن والكافر ، والطائع والعاصى ، وربما غفل الإنسان عن منهج الله فصدرتْ منه صغائر بل وكبائر ، فكيف يقبل على عمله ببسم الله ؟ وكيف يستعين به سبحانه وقد عصاه ؟

لذلك يقول له ربه عز وجل لا تستحِ أنْ تقول بسم الله ، لأننى رحمن رحيم ، أغفر لك وأتجاوز عمَّا كان منك ، ولن أتخلَّى عنك ، إذن : تشجَّع ولا تترك الاستعانة باسمى مهما كان منك من ذنوب ، واعتمد فى ذلك على أنِّى رحمن رحيم .

وقد رُوِى أن الأصمعى(1) سمع رجلاً يقول - وهو يطوف

---

(١) الأصمعى هو عبد الملك بن قُريب الباهلى أبو سعيد ، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، نسبته إلى جده أصمع ، وُلد بالبصرة عام ١٢٢ هـ ، كان كثير التطواف فى البوادى ، أخباره كثيرة جداً ، كان أتقن القوم للغة وأعلمهم بالشعر ، له « الأضداد » « خلق الإنسان » ، « الإبل » توفى بالبصرة عام ٢١٦ هـ عن ٩٤ عاماً [الأعلام للزركلى ١٦٢/٤]

بالكعبة - اللهم إنى عاصيك وأستحى أنْ أطلب منك ، لكن أطلب ممَّنْ ، وليس فى الكون إلا أنت ؟ فقال له الأصمعى : يا هذا ، إن ربك قد أجابك لحُسن مسألتك له .

والحق سبحانه وتعالى حين يُعدِّد نعمه على عباده يقول ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا (٣٤) ﴾ [إبراهيم] نعم ، لأن عَدَّ الشىء مظنة إحصائه ، ومع تقدُّم العلوم وتخصُّص جامعات ومعاهد للإحصاء لم يُقبل أحد على عَدِّ نعَم الله ؛ لأنها لا تُعَدُّ ، بل النعمة الواحدة مطمور فيها ما لا يُحصى مِن النعم ؛ لذلك لم يقُل سبحانه : وإنْ تعدوا نعَم الله ، بل نعمة الله ، فالنعمة الواحدة مستور فيها ما لا يُدرَكُ من النعَم .

ونلحظ فى هذه الآية أنها وردتْ فى موضعين ، لكن لكل منهما تذييل ، فواحدة : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ [إبراهيم] والأخرى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) ﴾ [النحل]

وكأن الحق سبحانه يقول لنا : أنت أيها الإنسان المُنْعَم عليه مع ما تُقَابل به نعَم الله من الظلم وكفران النعمة ، فربُّكَ المنعم سبحانه يقابل ظلمك وكفرك لنعمه باستدامة النعم ؛ لأنه غفور ورحيم .

وللعلماء أقوال فى (يس) قالوا : الياء للنداء و (س) من أسمائه ﷺ ؛ لأن عادة العرب أنْ تحذف بعض حروف الكلمة ، وتُبقى على الحرف المميز قوى الجرْس ، فمثلاً كلمة إنسان ، السين أقوى حرف فيها ؛ لذلك ورد قول النبى ﷺ : « كفى بالسيف شا »[1] والمراد : شاهداً .

---

(١) عن سلمة بن المحبِّق قال : قيل لأبى ثابت ، سعد بن عبادة ، حين نزلت آية الحدود وكان رجلاً غيوراً : أرأيت لو أنك وجدت مع امرأتك رجلاً ، أى شىء كنت تصنع ؟ قال : كنت ضاربهما بالسيف . أنتظر حتى أجىء بأربعة ؟ إلى ما ذاك قد قضى حاجته وذهب . أو أقول : رأيت كذا وكذا . فتضربونى الحد ولا تقبلوا لى شهادة أبداً . قال فذكر ذلك للنبى ﷺ . فقال : « كفى بالسيف شاهداً » أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢٦٠٦) وأبو داود فى سننه (٤٤١٧) وتمام الحديث : « ثم قال : لا ، لا ، أخاف أن يتتابع فيها السكران والغيران » .

ومن ذلك قول الشاعر :

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هَـذَا التَّدلُّلِ   وإنْ كنتِ قَدْ أزمَعْتِ صَرْمى فأجْمِلى[(١)]

والمراد : فاطمة .

ونحن فى حديثنا اليومى نختصر بعض الحروف ، فحين ننادى مثلاً يا أحمد ، بعضنا لا ينطق الدال ، وخاصة فى لهجة الدمايطة . إذن : فحَذْف بعض الحروف وإبقاء بعضها مما له جَرْس قوى أمر وارد فى لغة العرب .

وقال آخرون : بل اسمه ﷺ (يس) وحُذِفت ياء النداء والخطاب لمحمد ﷺ .

الحق سبحانه وتعالى علَّم الإنسان الأسماء كلها ، يعنى : علَّمه الكلمة المطلوبة له فى التخاطب ، وبعد ذلك ساعةَ يتكلم الإنسانُ ويتخاطب يتواضع ويصطلح على أسماء أخرى ، فالإنسان مثلاً الآن يعرف (التليفزيون) ويتعارف على هذا الاسم ، فهل علَّم الله آدم اسم (التليفزيون) ؟ لا إنما اصطلح عليه الإنسان بما علَّمه الله .

فالمعنى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٣١) ﴾ [البقرة] أى : الصالحة لتخاطبه الآن فى البيئة البدائية ، وعليه هو أنْ يُنمى لغته ، فيضع لهذا الشيء اسم كذا ، وهذا اسم كذا .

ونحن نعرف أن الحروف قسمان : القسم الأول : حروف مَبْنى يعنى مهمتها بناء الكلمة ، دون أن يكون لها معنى غير ذلك ، كما نقول مثلاً : كتب ، فالكاف والتاء والباء حروف تُبنى منها هذه الكلمة

---

(١) هو من قصيدة لامرىء القيس من بحر الطويل عدد أبياتها ٧٧ بيتاً ، وهى معلقته الشهيرة التى أولها : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . والصرم : القطع والقطيعة . ومعنى البيت : يا فاطمة دعى بعض دلالك ، وإن كنت وطنت نفسك على فراقى فأجملى فى الهجران .

دون أنْ تعطى معنى آخر زيادةً على معنى هذا الفعل الذى كوَّنته الحروف .

القسم الثانى : حروف معنى ، وهى أن يكون للحرف معنى يدل عليه بذاته كما نقول : كتبتُ . فهذه التاء الأخيرة تحمل معنى آخر غير معنى الكتابة ؛ لأنها تدل على الفاعل المتكلم فإنْ جاءت مفتوحة دلَّتْ على الفاعل المخاطب ، وإنْ جاءت مكسورة دلَّتْ على المؤنث ، وهكذا .

وقُلْنا : إن اسم الحرف قد يصادف عَلَماً على شيء ، فالسين مثلاً اسم لنهر معروف ، والعين حرف معجم لكن سُمِّى به أشياء كثيرة : العين الباصرة ، وعين الماء ، والعين بمعنى الجاسوس ، والعين للنفيس من المال من الذهب أو الفضة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) ﴾ [يس] هذه الواو تسمى واو القسم فما دخلتْ عليه كاليمين ، لكن هل المطالب التى يريدها المتكلم من المخاطب تأتى بالقسم أم بالدليل ؟ تأتى بالدليل ، وقد يأتى اليمين فيه الدلالة على الغرض المراد . فمثلاً يقول لك صاحبك : يا أخى أنت لم تُقدِّرنى ، لأننى مررتُ بأزمة ، فلم تقف بجانبى فتقول له : وحياة الشيك الذى كتبتُه لك يوم كذا ، وحياة الهدية التى أخذتها يوم كذا ، فتحلف له بالدليل على صدْقك .

كذلك هنا الحق - تبارك وتعالى - يقول لنبيه ﷺ : أنت مرسل وأنا أحلف بالقرآن لأنه دليل على أنك رسول صادق .

كلمة قرآن مصدر لقرأ تقول قرأت قراءة وقرآناً ، ولا بُدَّ أن الزيادة فى المبنى تدل على الزيادة فى المعنى ، فقلنا قرآناً لنفرق بين قراءة القرآن وقراءة غيره ، وهى أيضاً تدل على أنه كتاب مقروء ، ومرة أخرى يسميه الكتاب لأنه مكتوب ، فالقرآن إذن مقروء من الصدور ، مكتوب فى السطور.

ومرة أخرى يسميه الذِّكْر ، لأنه يُذكِّرنا بعهد الفطرة الأولى التى

قال الله فيها : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) ﴾ [الأعراف]

وهذا التذكير بالعهد الأول يُعَدُّ رحمة من الله بنا ، فمن رحمة الله بنا أن يُذكِّرنا إذا نسينا أو غفلنا ، فمنذ أنْ خلق آدم وإلى الآن ، الحق - تبارك وتعالى - يُذكِّر عباده ، فكما يُلقِّن الوالد ولده حركة الحياة يُلقِّنه أولاً حركة هذا الدين ، ولا بد أنْ يستمر هذا التلقين وهذا التذكير ، وأنْ يتوالى من جيل إلى جيل ؛ لأن طبيعة الإنسان فيه غفلة وفيه نسيان ، وتحدث منه معصية .

لذلك الذين قالوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) ﴾ [الزخرف] كاذبون في هذا القول ؛ لأن آدم وأمته في البداية كانوا على هُدىً ، فلماذا لم تتبعوهم ؟ إذن : أنتم اتبعتُم الآباء الضالين لا المهتدين .

كذلك حين تتأمل مسألة جمع القرآن تجد أن الذين جمعوا القرآن كانوا يتحرَّوْن في الآية قبل تسجيلها أن تكون مكتوبة أولاً في قرطاس أو في الرقاع والعظام التي سُجِّل عليها القرآن أولاً ، ثم يشهد على صحتها اثنان من القراء ، لماذا ؟

قالوا : لأن القرطاس لا هوى له ، فيغير ما كتب فيه ، أما الإنسان الحافظ فهو عُرْضَة للخطأ والنسيان والغفلة ، فلا بُدَّ أنْ يكون معه آخر يُذكِّره على حَدِّ قوله تعالى : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ (٢٨٢) ﴾ [البقرة]

والقرآن وصفه الله بالحكمة ، وهي وَضْع الشيء في موضعه الحق ليؤدي مهمته ، وكلُّ المعاني الدينية مأخوذة من مُحسَّات قبل الدين ، فمثلاً الفَرَس يركبه الإنسان ليُوصِّله إلى مراداته ، فإنْ كان

مرادك من ركوب الفرس التنزُّه بين الحقول سار بك سَيْراً بطيئاً كسَيْر الحنطور مثلاً ، وإنْ أردتَ به قَطْع المسافة جرى بك كالريح .

لذلك جعلوا للحصان لجاماً يُوضَع في حنكه ليكبح سرعته ، ويتحكم فيه ، هذا اللجام يُسمى الحَكَمَة[1] ومنها الحِكْمَةُ التي تكبح جماح الأهواء ، كي لا تشرد وتضع المسائل في موضعها ، فالإنسان له هوىً يميل به ، وينحرف بحركته عن الجادة ، فيأتي القرآن بالحق الواضح الذي يُقوِّم هذا الميل ويُصلحه ، والقرآن في الحقيقة حكيم ، لأنه محكم من الحكيم الأعلى سبحانه ، إذن : فالقرآن كلام من الحكيم ، وهو بالنسبة للإنسان كالحَكَمة للفرس .

ولحكمة القرآن اختصَّ بأشياء ، فتناول القرآن لا يكون كتناول غيره من الكتب ، فالكتاب العادي أتناوله في أيِّ وقت وعلى أيِّ حال كنت جُنُباً أو مُحدِثاً ، أما القرآن فلا يمسُّه إلا طاهر[2] ، لأنك مع القرآن تُقبل على مقدس له خصوصية ، فإياك أنْ تتناوله وأنت غير طاهر ، كما قال الحق سبحانه[3] : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ﴾ [الواقعة]

---

(١) حَكَمة اللجام : ما أحاط بحنكي الدابة ، فهي تأخذ بفم الدابة ، والحكمة : حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه . وفي الحديث : « ما من آدمي إلا في رأسه حكمة » وفي رواية : في رأس كل عبد حكمة إذا همَّ بسيئة ، فإن شاء الله تعالى أن يقدعه بها قدعه .[لسان العرب - مادة : حكم]

(٢) اتفق الأئمة ولم يخالف أحد من الصحابة في ذلك على حرمة مس المصحف وحمله بالنسبة للجنب . أما المحدث حدثاً أصغر فقد ذهب ابن عباس والشعبي والضحاك وزيد بن علي وابن حزم وغيرهم إلَى أنه يجوز للمحدث حدثاً أصغر مس المصحف ، وأما القراءة له بدون مس فهي جائزة اتفاقاً . [قاله الشيخ سَيد سابق في فقه السنة ٤٣/١ وما بعدها] .

(٣) في هذه الآية قولان :

الأول : المطهرون هنا هم الملائكة . قاله ابن عباس وأنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم . فعلى هذا القول فالآية لا تخص قراءة القرآن على وضوء أو غير وضوء .

الثاني : أي المطهرون من الجنابة والحدث . والمراد بالقرآن هنا هو المصحف . وقد أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يمس القرآن إلا طاهر » .

فالحق سبحانه جعل لك هذه الضوابط النفسية لتعرف أنك مُقبِل على كتاب له تميُّز عن سائر الكتب الأخرى .

كذلك للقرآن خصوصية فى حروفه ، فالحروف هى التى تُكوِّن الكلمات ، فهى عبارة عن نبرات صوتية ، لكل منها منطقة فى أعضاء الكلام ، فمثلاً حروف تخرج من الجوف والصدر هى :

هَمْزٌ فَهَاءٌ ثُمَّ عَيْنٌ حَاءُ مُهْمَلَتَانِ ثُمَّ غَيْنٌ فَاءُ

فإنْ خرجنا من منطقة الجوف نجد الحروف اللسانية التى تُنطق من اللسان بداية من : (لغلوغه) ثم وسطه ثم طرفه . فالقاف مثلاً تخرج من أقصى اللسان ، والشين والجيم من وسطه ، والضاد واللام والراء من طرفه ، كذلك هناك حروف تخرج من الشَّفة ، كالفاء من باطن الشَّفة السفلى ، والباء من باطن الشفتين معاً ، كذلك الواو يشترك فى نطقها الشفتان .

ولكى نقرأ القرآن قراءة صحيحة لا بُدَّ أنْ نلتزم بهذه المخارج الصوتية ، على خلاف قراءة أىِّ كتاب آخر ، فلا يُشترط له هذا الشرط ؛ لذلك نقول : إن كمال القرآن لا يتعدى ما دام له طريقة معينة ونغمة مضبوطة ، فلا بُدَّ أن تُراعى .

فمثلاً لو أنك تتكلم فى خطبة عادية تقول : أيها السادة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، لقد استدعانى فلان لألتقى به فى مكان كذا .. لو نطقتَ هذا الكلام بنغمة القرآن وطريقته لكان شيئاً غير مقبول (بايخ) أمَّا إنْ كان هذا النَّغَم فى القرآن ، فإنه يأتى جميلاً متناسقاً .

إذن : كمال القرآن لا يُتعدَّى حتى فى نطقه ؛ لأن هذا شىء مُختصٌّ به وحده دون غيره من الكلام ، فإنْ عدَّيْتَ خصائص القرآن إلى غيره من الكلام جاء سخيفاً مردوداً لا يُقبل .

أذكر ونحن صغار أنهم كانوا ينصحوننا بقراءة كتب الأدب مثل

كتب المنفلوطى مثل « العبرات » أو « النظرات » لنتعلم الأسلوب الجميل فى كتابة الإنشاء ، وبالفعل كان أسلوبنا يتحسَّن ويترقّى بقراءة كتب الأدب ، ونكتسب منها تعبيرات جديدة ، فإنْ جئتَ إلى حافظ القرآن الذى جوَّده على القراءات العشر أو الأربعة عشر ، وقرأتَ له كلمة أو مقالاً ، فإنك تجد أسلوبه لا يتأثر بالقرآن لماذا ؟ لأن كمال أسلوب القرآن لا يُتعدَّى .

إذن : نفهم أن حكمة القرآن جاءت من هذه الخصوصية : فى حروفه حكمة ، وفى كلماته حكمة ، وفى نَظْمه ، وترتيله ، وفى أسلوبه الذى لا يُبَارى ولا يُنقَل إلى غيره .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) ﴾

هذا هو جواب القسم ، الحق سبحانه يرد على كفار مكة ، ويقسم لهم : إنك يا محمد لمن المرسلين ، والمتكلم حين يرى المخاطب خالى الذِّهْن عن الأمر الذى يتحدث فيه يُلقى له الكلام طبيعياً بدون تأكيد ، فإنْ كان شاكاً فى الكلام أو مُنكِراً له أكّد المتكلمُ كلامه بمؤكِّد يناسب الشكَّ أو الإنكار .

لذلك الحق سبحانه يؤكد هنا كلامه بأكثر من مؤكد ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) ﴾[يس] فاستخدام التأكيد بإن واللام ، وقبل ذلك القسم؛ لأن الكفار منكرون لرسالته ﷺ ، وعلى قدْر الإنكار يكون تأكيد الكلام .

وتأمل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) ﴾[يس] وكانت النتيجة الإنكار ﴿ قَالُوا مَا

أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَـٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) ﴾ [يس]

لذلك يؤكدون كلامهم بأكثر من مؤكد : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) ﴾ [يس]

وقلنا : إن هذه الآية جاءت دليلاً وبرهاناً فى صورة اليمين ، كأن الله يقول : الذى يقرأ القرآن لا بُدَّ أنْ يؤمن بأنك يا محمد مُرسَل من الله . لماذا ؟ لأنهم أمة كلام وتذوُّق ، وما وُجدت أمة من الأمم حتى المعاصرة تقيم معارض للكلمة ، أما العرب فى جاهليتهم فقد أقاموا للكلمة أسواقاً ومعارض يتبارى فيها الخطباء والشعراء كل عام فى المربد وعكاظ وذى المجنة[1] وغيرها .

وقد بلغ اهتمامهم بالكلمة أن يعلقوا أروع قصائدهم على أستار الكعبة ، وما دام العرب أمة كلام ، إذن : كان عليهم أنْ يستقبلوا القرآن بهذه الملَكة ، وألاَّ يخفى عليهم إعجازه ، لكنهم كذَّبوه وقالوا : سحر وقالوا : شعر وقالوا : افتراء . فلما أعيتهم الحيل ولم ينالوا من ذلك شيئاً قالوا : ﴿ لَوْلا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) ﴾ [الزخرف] يعنى : القرآن لا غبار عليه إلا أنه نزل على محمد ، هذه آفته عندهم ؛ لأن ملَكتهم البلاغية لا يصح أن تقف أمام القرآن أو تُكذِّبه .

لذلك كانوا حتى وهُمْ على كفرهم يحبون سماع القرآن ، يتخفَّى الواحد منهم ، ويذهب يتسَّمع القرآن من رسول الله ليلاً ، وربما

(١) قال أبو بكر الأزدى فيما ذكره المرزوقى فى كتابه « الأزمنة والأمكنة » باب أسواق العرب : « أسواق العرب الكبيرة كانت فى الجاهلية ثلاث عشرة سوقاً ، فأولها قياماً : سوق دومة الجندل ، ثم صحار ، ثم دبا ، ثم الشحر ، ثم رابية حضرموت ، ثم ذو المجاز ، ثم نطاة خيبر ، ثم المشقر ، ثم حجر باليمامة ، ثم منى ، ثم عكاظ ، ثم عدن ، ثم صنعاء »

تقابل الاثنان منهم عند حجرات رسول الله ، فسأل أحدهما الآخر : ماذا أتى بك إلى هنا يا فلان ، فلا يملك إلا أنْ يقول : جئتُ لزيارة خالتى المريضة ، والآخر يقول جئت لكذا وكذا !! لكن هيهات فحالُه يُغنى عن مقاله[1].

لذلك تأمل قول الشاعر فى هذه المسألة :

انْظُروهُمْ وقَدْ تَسَلَّل كُلٌّ ... بَعْدمَا انفَضَّ مجلِسُ السُّمَّارِ
اخْتِلاساً يَسْعَى لحجرةِ طه ... لِسَماعِ التنزيل فى الأسْحارِ
اعذروهم حسنه فلَمَّا تَراءَوْا ... علَّلوها ببَارِدِ الأعْذَارِ

لذلك كان الواحد منهم حينما يسمع القرآن من رسول الله ويعود إلى قومه ، فيقولون : لقد رجع فلان بغير الوجه الذى ذهب به .

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ ﴾

الصراط : هو الطريق ، وله معنى آخر يوم القيامة ، هو الصراط المضروب على متْن جهنم يمرُّ عليه البَارُّ والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ويختلف المارُّ عليه باختلاف عمله فى الدنيا ، فواحد يمرُّ عليه كالبرق

(١) ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية (١/٣٣٧) طبعة دار التراث أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل ، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا (وتكرر هذا ثلاث ليال متوالية) حتى إذا كانت الليلة الثالثة قال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، وفى القصة طول فلتراجع هناك عن رأيهم فيما سمعوه .

الخاطف ، مع أنه أَحَدُّ من السيف وأدَقُّ من الشعرة ، وآخر يمرُّ عليه كأسرع جَوَاد ، وآخر يمر عليه حَبْواً ، وآخر يقع فى جهنم[(١)] ، والعياذ بالله .

وحين تمر على الصراط لن يكون معك عَصًا تحفظ بها توازنك كلاعب السيرك مثلاً ؛ لأن الذى يزنُ حركتك على الصراط هو القرآن الذى استمسكْتَ به فى الدنيا ، فكأن المؤمن حين يمرُّ على الصراط لا يكون توازنه من تحته إنما من أعلى ، من جهة القرآن ، فهو أشبه بالكبارى المعلَّقة التى لا يحملها شىء من تحتها ، لكنها مشدودة من أعلى بما يمسكها ويحفظ توازنها ، كذلك حال المؤمن على الصراط .

والصراط فى معناه العام هو الطريق المستقيم الذى يوصلك للغاية من أقرب مسافة وأيسرها ، لكن عبارة القرآن ﴿ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) ﴾[يس] فيها إشارة إلى أن الصراط له مهمة ، هى أنْ يُوصِّلك إلى الغاية المرادة ، فالصراط فى خدمتك .

ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿ عَلَىٰ هُدًى (٥) ﴾ [البقرة] البعض يفهم أن الهداية تقتضى التكاليف وتقييد الحركة ، وأن فى الهداية مشقة وعنتاً ، لكن لفظ الآية يعنى خلاف ذلك ، فمعنى ﴿ عَلَىٰ هُدًى (٥) ﴾ [البقرة] أنك تعتلى الهدى ، وكأنه مطية لك تُوصِّلك لغايتك المجيدة ، فهو يحملك ، لا تحمله أنت .

ووَصْف الصراط بأنه مستقيم ، لأننا تعلمنا فى الهندسة أن الخط

---

(١) أخرج أحمد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « لجهنم جسر أدق من الشعرة وأحَدّ من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله ، والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، والملائكة يقولون : رب سلم رب سلم ، فناج مُسلَّم ، ومخدوش مُسلَّم ، ومكوّر فى النار على وجهه » أخرجه أحمد فى مسنده [٦/١١٠] وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد [١٠/٣٥٩] وقال : « فيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق » .

المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين ، فحين تريد مثلاً الانتقال من مكان إلى مكان ، فـ (من) للابتداء ، و (إلى) للغاية التى تريدها ، وما دُمْتَ لا يعنيك إلا البداية والغاية ، فالتيسير يقتضى أنْ تسلك أقرب الطرق وأقصرها وهو الخط المستقيم ؛ لأن كل التواء فى الطريق أو منعطف يكون فى خط السير مُثلَّثاً من ضلعين، ويكون الطريق المستقيم هو الضلع الثالث .

ومعلوم أن مجموع أىِّ ضلعين فى المثلث أطول من الثالث ، إذن : يطول عليك الطريق ؛ لذلك يُحدِّثنا القرآن عن الصراط المستقيم ، وعن سواء السبيل يعنى : الجهة اليمين تساوى الجهة اليسار .

لكن ، لماذا كان طريق المؤمنين صراطاً مستقيماً ؟ لأن الله تعالى هو الذى شرعه فى منهج خَلْقه ، ولأنه مُنزَّل من الله .

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾

وساعةَ تسمع كلمة ﴿ تَنزِيلَ ۝٥ ﴾ [يس] فاعلم أنه من جهة العلو ، وإنْ كان المنزَّل فى باطن الأرض ؛ لأنه فى واقع الأمر جاء من الأعلى ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ۝٢٥ ﴾ [الحديد] فالحديد لا تنظر إلا أن مقرَّه فى الأرض ، لكن انظر إلى عُلُوِّ خالقه ؛ لذلك أعطاه الله صفتين : صفةً دنيوية ، وأخرى دينية .

﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ۝٢٥ ﴾ [الحديد] فالبأس الشديد لأعداء الله ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ..۝٢٥ ﴾ [الحديد] فهذه للآخرة ، وفيه منافع للناس أى : فى الدنيا ؛ لذلك تجده المعدن الشائع الانتفاع به ، والأكثر قوةً وصلابةً .